مترجمات سمير شيخاني

بقلم علي زيعور

استرعى انتباهي اخيرا نتاج وفير متسع الجنبات وجم الجنى ومتعدد النواحي . وقد القي على هذه الاعمال صفة الادب السمعي او ادب الاذن .

فما هو هذا الادب ومن هو هذا الاديب ؟ وهل لادب هو اصطلاحيا قابل لان يسمع او ينظر اكثر من ان يقرأ وينسق ويجمع اكثر مما يخلق ويبدع ، قيميات متراتبة تندرج تحت لوائح او تخضع لهرميات ؟ كان الحكم الاول ان القيمة الانسانية لفنية هذا الانتاج قد اندغمت مع منفعة جلى له ، وتوافق الوجهان لهذه الظاهرة الادبية الوجه الواقعي المنفعي والوجه الجمالي المنسلخ عن الفنم رفعة ورونقا .

وبقي المذهب النقدي في مفهومه ومضمونه ووحدته كما سبق ان عرض في « الآداب » في عددها الممتاز الذي خصصته للنقد الادبي عام ١٩٦١ ، وهو مذهبنا في احترام الاثر الادبي واخذه ككائن له قيمته الاخلاقية التي لا تضاهيها قيمة الاشياء المادية مهما غلا ثمنها وبهظ سعرها . فمهما كانت متواضعة اثار الانسان الفنية تبقى ارفع واقيم من اندر ماديات الحياة الحسية . لذلك كان كواجب مفروض او على الاصح كحدث واقعي امامنا محبة هذا العمل الذي يراد نقده وتعييره . ان رفض المحبة كواجب لكونها لا تفرض او ليست احساسا خارجيا ولا تؤمر او تخضع لهذا او ذاك من اكراهيات خلقية كانت ام خارجية ام اجتماعية ، فاننا نتقبلها كانبجاس ايماني او هوى نابع من الداخل معقلن ومرتضى من الفكرية والموضوعية .

المحبة والاحترام هما المنهجان في المذهب النقدي ، او هما مظهران لمسلك واحد وطريقة واحدة في فهم الاثر وتذوقه من ناحية ومن ثم في تفسيره وشرحه من ناحية اخرى . فالمحبة على هذا طريقة من طرق المعرفة تدل على اخطاء او شوائب العمل الفني دون اخفائها او جعلنا متجاهلين وجود وتأثير هذه الاخطاء والشوائب .

***

هكذا بدونا امام اعمال سمير شيخاني الادبية : تقدير واحترام ومحبة مع تعاطف هو حركة مقصورة ومدروسة في اتجاه الغير الذي هو هنا الاديب نفسه متجسدا في كتبه كلها او انه كروح حلت في حلقات من الاعمال الفنية تتوزع بين المسرحيات والمترجمات والحوائيات والكثير الوافر مما يدور حول الطرب والموسيقى والغناء واخبار واسمار يجمع ما بينها امكانية حدوث الرغبة في الاصغاء اليها او خاصيتها في جذب الانتباه ودعوتها للاهتمام .

وكان من الممكن البدء بالتعرف على آراء وتعليقات الاديب نفسه على آثاره وطريقة اخذه لقيمتها النقدية ، الا انه من ناحية اخرى قد تقع من جراء ذلك « الانا الناقدة » في اكراهيات اجتماعية خارجية تؤثر في سيرها واخذها العام للحقل النقدي . ان افضل حالة تكون فيها « الانا الناقدة » هي في ذلك الطي المنسق والمعقلن بين الاكراهيات والشكليات الخارجية وبين العفوية التلقائية الصميمية للوعي النفسي بالاثر او الانعكاس الاول له على الوعي المعرفي .

بمعنى تطبيقي ان علينا التحليل والدرس ثم قبول الانفعال الناتج ومن بعد طيه وتنسيقه مع التمثلات الخارجية او الاطار الاجتماعي لهذا الاثر نفسه .

***

عديدة جدا كتب او مترجمات سمير شيخاني فقد يتجاوز عددها الخمسين عدا مجموعات اكثر يقول انها تحت الطبع او معدة لذلك . وهو بهذا يكون قد وفر للمكتبة العربية رفوفا حوت الكثير مما كان ينقصها من الادب المسرحي او الفني عامة مما يفتح النوافذ على الاداب الغربية وفي ذلك ما فيه من فوائد وصوالح وغنى للثقافة العربية والادب .

ان خير ما يمثل هذا النوع من الادب هو كتاباه الاخيران ... وارتفع الستار ثم ... وانسدل الستار . فهذان يدلان على تفكيره وفهمه للعمل الادبي من جمع وتبويب ثم تكديس او توضيب . ان بعض المسرحيات التي يقدمها الكتابان ، معروف في اللغة العربية الا ان الشكل هنا هو الجديد اذ ان القالب الاصلي نقل تحت فنيته الحوارية ودون تلخيص او عصر وتكثيف. لنقل ذلك عن مسرحية الرسالة لسمرست موم فهي معروفة عندنا من قبل ولكن بشكل مبتور ومشوه لا بصورتها الاولى التي تتحرك فيها الستائر والانوار والمناظر . كذلك الشيء نفسه عن مسرحية الزوج الخالد لدوستويفسكي وغيرها دون ان يعني هذا ان سائر المضمون في الكتاب مترجم من قبل ، فالمترجم شيخاني يحسن اختيار المسرحيات لتقديمها وقد يمكن القول ان الاختيار الصالح يدل على فهم متقدم للعمل المسرحي فكان الاختيار هنا شبه عمل فني لا يهبط كثيرا عن المستوى في التأليف .

وفي كتابه الاخير « ... وارتفع الستار » اختار تسع مسرحيات منتقاة من الاداب العالمية او من هذا الادب الانساني الذي ينتمي اليه كل فرد من اي موطن او جنسية كان .

يلاحظ في هذه المترجمة ان حظ لويجي بيراندللو وفير ، فساحر صقلية كما يقال عن بيراندللو واحد من اكبر اساتذة المسرحية الحديثة وخير من بحث وكتب في الشكوك والنواحي الظنية والتساؤلية . ويقدم سمير شيخاني مسرحية الملزمة وكأنها تمثل تمثيلا جليا هذه النظرة لادب بيراندللو ، كذلك فان المسرحيتين الباقيتين لا تختلفان كثيرا عن « الملزمة » من حيث قياسهما وارتكازهما على الشك والتشاؤم والغيرة وما اشبه في الحياة الزوجية . ولعل ذلك ناتج عن حياة لويجي الخاصة المتصفة بالقلق والمتاعب البيتية ، الا ان هذا ايضا انعكاس الاوضاع المجتمعية والنظرة العامة للحالة والشكل التي هي فيها العلاقات الزوجية في ايطاليا واوروبا بوجه عام .

والملزمة تمثيلية من فصل واحد تحيا فيها « الانا » القلقة الخائنة حياة تأكلها وتستفضب قواها الشكوك في حقلين نفسيين : الاول يضم الزوجة جوليا مع عشيقها انطونيو وهما في شك بمعرفة الزوج او اطلاعه السطحي على علاقتهما الاثيمة ، بينما تجري حوادث الحقل الثاني بين الزوج اندريه فابري وزوجته حيث يحيا هنا وينمو مرتفعا منخفضا الشك عندها في تهمة زوجها لها . وتسهيل الحوادث متلاحقة نحو نهاية يدفع اليها الزوج دفعا نفسانيا زوجته فتضع حدا لشكوكها بالمعرفة والانتحار .

وفي هذه التمثيلية نرى اوضح رؤيا تأثير الايحاء على المرأة المذنبة أو الانسان المذنب بوجه عام . والمقطوعة هنا تشبه تجربة سيكولوجية تجري على المذنبين والمتهمين وذلك بدرس التأثير الانفعالي والسيطرة على الاعصاب وقوة الطبقات العليا من « الانا » على المكونات التحتية للشخصية الانسانية عندما تلقى أو تدس بصورة غير ملحوظة كلمات تتعلق بالذنب والتهمة في مجرى حديث للتغطية والتعمية . في الملزمة، تشك جوليا في ان زوجها قد لاحظ تقبيلها لعشيقها انطونيو الذي بدوره يخاف من الزوج وشكوكه . ويتعاقب العشيقان ويخافان غضبة الشخص الثالث وكل ما يقلقهما هو الخوف من الخوف والقلق من القلق وانتظار النتيجة .

ويتدبر الزوج الامور ، كعالم نفسي يعمل على احداث مشاعر داخلية معينة في نفس مريضه ، فيهيء حقلا يجري فيه تجاربه وخلق رغبات يتمناها عند العشيق . ويتم ذلك بالفعل اذ ينامان في غرفة واحدة يبقى ابانها انطونيو غير قادر على النوم من اثر الايحاءات من قبل الزوج التي تصل احيانا الى درجة الوضوح قبل ان تغمى أو تخفى في كل يعطيها دلالات متعددة .

ولم يكتف الزوج بايلام العشيق ودفعه ثم جذبه اليه واقلاقه بفكرة وسواسية في تلك الليلة ، بل جعله يسبقه الى لقاء الزوجة حيث تبدو بجلاء براعة لويجي بيراندللو في تبيان نمو المشاعر الداخلية وصعوبة تحمل الالام النفسية . ونرى ان الجرح الذي يولده الخوف لا يعادله جرح الجسد وخاصة عندما يبدأ الزوج بالسعي لجعل امرأته الدليل الحسي على تهمتها والشاهد الصادق على خيانتها فيحدثها ـ مظهرا جهله وعدم رغبته في ازعاجها ـ عن رجل خانته زوجته وكيف سعى لكشف ذلك بهدوء واتزان . ويحاول هنا اندريه بلباقة بارعة تطبيق الامر على زوجته وعلى نفسه فيظهر لها وجهها الممتقع في مرآة كانت تحملها في حقيبتها ، ثم يجاهد في جعل الاغلاط اللسانية Lapsus تسبقه وتقصدها بحيث توحي رغبته ونواياه وهكذا ...

صدر حديثا :

الظمأ والينبوع

رواية من تأليف

فاضل السباعي

٢٥٠ ق. ل

دار الاداب

كل ذلك بشكل يبدي الحياة النامية والسلوك التطوري لانفعال الخوف الذي يحدث التوتر النفسي الجارف ومن ثم تضعف الطبقات العليا النفسية وتخف سلطة العقل والاتزان الداخلي ويتمازج القلق مع الشك الذي يرى اشباعه بالاستسلام وفقدان الشجاعة . يردد « لماذا يشحب لونك ايتها العزيزة » في اطار الحديث العام الذي يحدث عن زوجة خائنة ، مثل هذه الغمزات والايماءات خلقت الاستسلام وثبطت الوعي عند جوليا التي ترزح تحت وطأة آلامها النفسية المتوهجة فتركع طالبة العفو.

ولم تنل العفو ـ لان بيراندللو اراد التشفي أو الوصول بالانفعال الى ما يخفض توتره أو يزيله تماما ـ فتطلب رؤية ولديها ، ويزيد المؤلف في الدفع الى قمة التوتر ويرفض طلبها هذا ، ثم تأتي الدموع المؤلف في الدفع الى قمة التوتر برفض طلبها هذا ، ثم تأتي الدموع تطلب الزوجة الموت فيقودها زوجها الى حيث ترى عشيقها في الحديقة وتصرخ هي رحماك وهو فرحان يضحك من الامها ويتشفى بها .

واخيرا تسرع الى الحجرة المجاورة وتغلق الباب وراءها فيبقى اندريه منتظرا حتى يدخل انطونيو مترددا في الكلام الى ان يسمع صوت طلق ناري فيصرخ منهيا التمثيلية بهذه الجملة المعبرة :

اندريه (ملتفتا على حين غرة) ـ انت قتلتها ـ

***

مشهدية اخرى هي بيلا فيتا لا تقل حزنا واكتئابا عن الملزمة وتصور مشاعر وانفعالات مماثلة . الى جانب مشهديات اخرى عديدة تصور نوعا من العقلية التي تغرق في التفصيل وتتصخر في ذهنية مقيدة بالتوافه والقشور . ومثل هذه الدراسة تمثيلية جورج كوفمان الذي يخلق ابطالا يلح على اظهارهم منشغلين في امر بسيط مهملين الجو العام والنقاط الرئيسية ...

المسرحيات بأجمعها موفقة وقد احسن المترجم اختيارها وتقديمها للعربية . اما الاسلوب وهو هنا في ثوب ترجمي فثوب يبدو وكأنه غير مستورد .

الا ان عجمة الترجمة نبدو احيانا بل تخدش الذوق القرائي او الاذن العربية التي تتقبل بشكل عام المسحة العربية لسائر مترجمات سمير شيخاني .

لا شك بوجود مؤاخذات لغوية بل وعديدة ، وهنات تركيبية تعبيرية متناثرة هنا وهناك وسببها الاسلوبية الكتابية عند المترجم التي تتصف بالبشر والانسيابية السريعة او بكلمة اخرى انه التدفق في التركيب بل والتدفق الشديد هو الذي يدفع الى التسرع الطائش في تقديم بعض اعمال شيخاني الترجمية الرحبة .

ويلاحظ مرارا ان الاديب يلهث عند محاولته اللحاق بالافعوانية التعبيرية الاجنبية من تقطع للجمل وتوصل لها ثم تدرج وقفز او انسياب. الا ان الثوب الذي ينسجه للمسرحيات لا يمنع الشعور بحرارة وحيوية الانفعالات المدروسة ودفئها ومطاطيتها .

واخيرا ، فان التصفح لكتب هذا الرجل الوافر النشاط والذي اعطانا ادبا ذا قيمة ممتازة ، يظهر قدرته على سرعة العطاء والتنسيق بين مصادر متفرقة وهو يناغم حتى في الصفحة الواحدة بين صور وتزاويق وتعاريش فترى الجهد المبذول بسهولة وترى في هذا الجهد روح الشباب وحيويته ونشاطاته وخير لهذا الاديب ان يزيد من عنايته بكتبه ورعايته عليها فليس الامر بكثرة الانتاج وتنوعه دون ان نعني بذلك قلة الاحترام والمحبة بل والتقدير لهذه الجهود وهذه الهمة المنطلقة ..

علي زيعور